

## مصطلحات الفضاء السردي "دراسة مقارنة" بين المفاهيم

## The terminology of narrative space -Comparison Study- Between Concepts

تياح فتيحة

جامعة محمد الصديق بن يحيى - جيجل - الجزائر

t.fatiha20@yahoo.com

إشراف أود سلمي شويط

تاريخ النشر	تاريخ القبول	تاريخ الارسال
2019-01-18	2018-10-03	2018-07-04

## الملخص

مما لا شك فيه، أن الرواية الحديثة أضحت في حاجة إلى مصطلحات خاصة تمكنها من تحقيق أغراضها، بوصفها الفن الأدبي الوحيد القادر على إعادة تشكيل الواقع، والنظر إليه بروى جديدة تستوعب كل الممكنات، وتحاول المزج بينها بطريقة عجيبة، تجمع بين رؤية المبدع وطريقة نسجه للأحداث، وبين رغبة القارئ، وأمله في أن يلامس المقروء واقعه المعيش بكل حيثياته وتفصيله.

الكلمات المفتاحية: المصطلحات؛ الفضاء السردي؛ الزمان؛ المكان؛ المقارنة؛ المفاهيم.

## Summary

No doubt, that the modern novel became in need of special terminology enabling it to achieve its purposes, as the only literary art capable of reshaping the reality and looking at it with new visions that accommodate all the possibilities and Trying to mix among them in a wonderful way, that Combines the vision of the creator and the method of weaving events, and the desire of the reader, and his hope that the reading touches the reality of living in all its merits and its details.

Keywords: Terminology - The narrative Space - Time - Place -Comparison -Between concepts

توحي الدلالة اللغوية لمصطلح الفضاء بالاتساع، والامتداد صوب كل الاتجاهات لتحقيق المرامي، والغايات؛ فهو الإطار الفني الذي تتظهر في ثناياه الأحداث السردية بكل عناصرها، ومكوناتها، راسمة للمتلقى، مشاهد متشعبة الأحداث، ومختلفة الرؤى والأبعاد.

ويرصد هذا المقال تعريفات تخص بعض مفاهيم مصطلحات الفضاء السردى (المكان، والزمان)، كما أوردها النقاد، والمبدعون، ويحاول المقارنة بين هذه المفاهيم، واستجلاء الفروقات إن وجدت. والظاهر أن الاهتمام بهذين العنصرين من لدن النقاد، والمبدعين كان باديا للعيان؛ لأنهما يدخلان في علاقة ثنائية من شأنها المزاجية، والجمع بين المتناقضات، سعيا إلى تفعيل الفضاء الروائي، وتمكينه من الانفتاح على كل الدلالات.

والإشكالية التي يمكن طرحها: كيف يمكن استثمار هذه المصطلحات، واستغلالها من طرف المبدعين بطريقة موحدة من شأنها المساهمة في فهم ما تجود به قريحتهم، دون حصول أي لبس على مستوى المفاهيم، والمصطلحات، في الوقت الذي تصدرت فيه الرواية الحديثة طليعة الفنون الأدبية بعدها أكثر الفنون ملامسة للواقع؟.

### I- مصطلحات الفضاء: قراءة في المصطلح والمفهوم

يَحْسُنُ بنا أن نوليَّ اهتماما بالمصطلحات ودورها؛ لأنها تحمل المفاهيم العلمية، وتحيطها بسياج يحفظ ما فيها، ويمنع غيرها من الدخول في مجالها، ومن ثمَّ كان لكل حقل معرفي مصطلحاته الخاصة.

#### أولا: في ماهية المصطلح

##### 1- المصطلح في اللغة

يعرفه الأزهري (ت 370هـ) في التهذيب بقوله: "الصَّلَاحُ نَقِيضُ الفَسَادِ والإِصْلَاحُ نَقِيضُ الإِفْسَادِ، وتَصَالَحَ القَوْمُ وَاصْلَحُوا وَاصْطَلَحُوا بِمَعْنَى وَاحِدٍ<sup>1</sup>" وهدف واحد أساسه نفي الخلاف والسعي إلى كل ما فيه الاتفاق.

وإلى ذلك يذهب ابن فارس (ت 395هـ)، فيرى أن " الصَّادَ وَاللَّامَ وَالْحَاءَ أَصْلٌ وَاحِدٌ يَدُلُّ عَلَى خِلَافِ الفَسَادِ<sup>2</sup> ونقيضه.

وجاء في لسان العرب لابن منظور (ت 710هـ) " الصَّلَاحُ ضِدُّ الفَسَادِ: صَلَحَ، يَصْلَحُ، وَيَصْلَحُ، صَلَاحًا، وَصَلُوحًا (...) والإِصْلَاحُ نَقِيضُ الإِفْسَادِ (...)، وَالصُّلْحُ تَصَالُحُ القَوْمِ بَيْنَهُمْ: وَالصُّلْحُ: السِّلْمُ<sup>3</sup>، " ونبذ كل ما يؤدي إلى الفرقة والخلاف.

ويعرفه الزبيدي (ت1205هـ) بأنه "اتفاق طائفة مخصوصة على أمر مخصوص<sup>4</sup>"، يخدم مصالحها ويوجه معارفها إلى الطريق الصحيح.

والظاهر أن مجمع اللغة العربية قد حاول الجمع بين التعريفات السابقة، فمعنى: "اصطَلَحَ القَوْمُ: زَالَ مَا بَيْنَهُمْ مِنْ خِلَافٍ، وَ- عَلَى الأَمْرِ تَعَارَفُوا عَلَيْهِ وَاتَّفَقُوا (....)، الاصطلاحُ: مَصْدَرُ اصطَلَحَ، وَ- اتَّفَاقٌ طَائِفَةٌ عَلَى شَيْءٍ مَخْصُوصٍ<sup>5</sup>" يخدمُ أغراضها العليّة والتواصلية.

2- المصطلح في الاصطلاح:

يعرفه الجرجاني (ت316هـ) بقوله: "الاصطلاح عبارة عن اتفاق قوم على تسمية الشيء باسم ما ينقل عن موضعه الأول، وإخراج اللفظ من معنى لغوي إلى آخر لمناسبة بينهما"<sup>6</sup>، كاشتراكهما في سمة بارزة، تضطلع بسمات المفهوم وتدل عليه.

ويؤكد القلقشندي (ت821هـ) "على أن معرفة المصطلح هي اللازم والمحتم والمهم المقدم لعموم الحاجة إليه، واقتصار القاصر عليه<sup>7</sup>" في طلب العلم وتحصيله.

ويبين التهانوي (12هـ...000) على أهمية المصطلح فيقول: "إن أكثر ما يحتاج به في العلوم المدونة، والفنون المروجة إلى الأساتذة هو اشتباه الاصطلاح فإن لكل علم اصطلاحاً به إذا لم يعلم بذلك لم يتيسر للشارع فيه الاهتداء إليه سبيلاً، ولا إلى انفهامه دليلاً<sup>8</sup>" هادياً، ومرشداً على مر الدوام.

ثانياً: مصطلحات الفضاء

يمكن أن تقسم إلى قسمين كبيرين هما: مصطلحات الفضاء المكاني، ومصطلحات الفضاء الزماني.

- القسم الأول: مصطلحات الفضاء المكاني

1- مصطلح الفضاء

إذا كانت نظرة اللغويين واحدة؛ فإن النظرة إليه من لدن المتخصصين كانت مختلفة، ومتباينة ومن ثم تعددت المصطلحات الدالة على مفهومه.

أ- الفضاء لغة: ESPACE

عرفه الخليل بنت أحمد الفراهيدي (ت170هـ) بقوله: "الفضاء: المكان الواسع، والتعلُّ فضاءً يفضو فُضُوًّا وفضاءً فهو فاضٍ، أي واسع<sup>9</sup>" وهو يشير بهذا المعنى إلى "الامتداد المكاني الذي يحيط بالأشياء ويحتويها<sup>10</sup>" دون ضيق أو عجز.

ب- الفضاء اصطلاحاً:

مصطلح الفضاء ذو مفهوم مطاطي، يتجلى حسب (M.BUTOR) في الكتابة بمختلف أشكالها، وفي الرسوم والأشكال، وفي الصفحة ضمن الصفحة، وألواح الكتابة، والفهارس، وغيرها من المظاهر الشكلية

التي تتجلى من خلال القراءة، ويدخل معها كذلك نظام توزيع مساحة السواد، والبياض على الصفحة الذي يعتبر مستوى آخر في إطار الفضاء النصي<sup>11</sup>.

## 2- مصطلح المكان

### أ- المكان لغة:

يرى ابن منظور بأن: "المكانَ والمكانةَ واحدٌ. مكانٌ في أصلِ تقديرِ الفعلِ مَفْعَلٌ، لأنه مَوْضِعٌ لِكَيْنُونَةِ الشَّيْءِ فيه، والمكانُ المَوْضِعُ والجمعُ أمْكَنةٌ (...) وأماكنُ جَمْعُ الجَمْعِ"<sup>12</sup>، ولا وجود للأشياء قبل وجود الأمكنة.

### ب - المكان اصطلاحا

ميز الجرجاني بين المكان المعين، والمكان المبهم، وعرّف الأول بأنه "عبارة عن مكان له اسم سميّ به، بسبب أمر داخل في مُسمّاه، كالدار، فإن تسميته بها بسبب الحائط، والسقف وغيرها، وكلها داخل في مُسمّاه"<sup>13</sup> ولا جدال في ذلك، في حين عرّف الثاني بأنه: "عبارة عن مكان له اسم نُسميه به، بسبب أمر داخل في مُسمّاه، كالخلف، فإن تسمية ذلك المكان بالخلف، إنما هو بسبب كَوْنِ الخلف في جهة، وهو غير داخل في مُسمّاه"<sup>14</sup> "ولا علاقة له به في الأصل".

وفي التنزيل العزيز قوله تعالى ﴿ وَلَوْ نَشَاءُ لَمَسَخْنَاهُمْ عَلَىٰ مَكَانَتِهِمْ فَمَا اسْتَطَاعُوا مُضِيًّا وَلَا يَرْجِعُونَ ﴾<sup>15</sup>

### 3 - مصطلح الحيز

### أ - الحيز في اللغة:

بعرفه ابن منظور بقوله: "الحَوْزُ والحِيزُ السِّرُّ الرويدُ والسوقُ اللَّينُ (...) والتَّحْيِيزُ: التَّلْوِي، والتَّغْلِبُ، وقال سيبويه: هو تَفْعِيلٌ مِنْ حَزْتُ الشَّيْءِ"<sup>16</sup>، إذا حَصَرْتُهُ فِي مَكَانٍ مَعِينِ.

### ب - الحيز في الاصطلاح:

يعرفه الجرجاني بأنه: "ما يَقْتَضِي الجِسْمُ بِطَبَعِهِ الحِصُولَ عَلَيْهِ"<sup>17</sup>، وهو الفراغ الذي يحتضن الأشياء متوهما كان أو واقعيًا.

وقد قابل الناقد "خليل أحمد خليل" بينه وبين أربع دوال يوردها كالاتي: مكان/ مجال/ فضاء/ مدى

<sup>18</sup>، وهي في نظره ذات دلالة واحدة، وإن تعددت نظرات النقاد إليها.

أما الناقد "عبد الملك مرتاض"، فقد فضّل مصطلح الحيز، ويرى "أن الحيز لا حدود له ولا

انتهاء، فهو المجال الذي يتبارى فيه كتاب الرواية، فيتعاملون معه بناء على ما يودون من هذا التعامل<sup>19</sup>، ومعنى ذلك أنه من ابتكار الذات المبدعة، التي تريده مسرحا ملائما لحجم، وطبيعة، أحداثها.

وهناك من قابل مصطلح المكان بمصطلح "الواقع" ومن هؤلاء الناقد ياسين النصير الذي يرى أن مصطلح الواقع له دلالة جوهرية فلسفية، أما المكان، فيعد الحامل المادي للعمل السردى، الشفاهي والكتابي<sup>20</sup>، إذ يربط مصطلح الواقع بالمكان، حقيقيا كان أو متوهما، في حين يربط مصطلح المكان بالمجال السردى.

ومن الطبيعي أن تكون هذه النظرة المختلفة؛ لأن أغلب هذه المصطلحات ذات نشأة غربية، وبقدر تعدد المصطلحات الغربية، تعددت المقابلات العربية.

### القسم الثاني: مصطلحات الفضاء الزماني

على الرغم من تزايد وتيرة الاهتمام بهذا العنصر التجريدي الفاعل، من لدن الدارسين على اختلاف أطياهم، وتباين تخصصاتهم، إلا أن إشكالية تعدد المفاهيم، وعدم استقرارها؛ قد وسعت آفاق البحث، دون ضبط دقيق لمفهوم المصطلح.

#### 1 - مصطلح الزمن: Temps

##### أ - الزمن في اللغة

يرى ابن منظور أن: "الزمنَ والزَّمانَ اسم لقليل الوقت وكثيره، وفي المحكم: الزَّمنُ والزَّمانُ العَصْرُ، والجمعُ أَرْمنٌ، وأزْمانٌ، وأزمنةٌ"<sup>21</sup>، يدركُ على الدوام دون أن يرى أو يلمسُ.

##### ب - الزمن في الاصطلاح:

هو في نظر الجرجاني: "عبارة عن متجدد معلوم، يقدر به متجدد آخر موهوم، كما يقال: آتيك عند طلوع الشمس، فإن طلوع الشمس معلوم ومجيئه موهوم، فإذا قرُن ذلك الموهوم، بذلك المعلوم زال الإبهام"<sup>22</sup>، وانتفى عنه إلى الأبد.

أما "جيرالد بيرنس"، فيعرف الزمن بأنه: "الفترة أو الفترات التي تقع فيها المواقف، والأحداث المتقدمة، زمن القصة (story time)، وزمن المروى (arrated time)، والفترات التي يستوقفها عرض هذه المواقف، والأحداث، زمن الخطاب (discours time)، زمن السرد (na rating time)<sup>23</sup>، وهو في نظره خيط وهمي يربط بين الأحداث المختلفة، أو هو "نسيج من العلاقات، المتمثلة في السرعة، والبطء بين المواقف، والخطاب والمسرود لهم"<sup>24</sup> حيث يقوم بدور المنسق، والمنظم لكل شيء في هذا الوجود.

II- المقارنة بين مفاهيم بعض المصطلحات الواردة في معجم "برنس" وبعض المعاجم والكتب الأخرى:

## أولاً : مصطلحات المكان

المكان	Space
الشكل المكاني	Spatiale forme
الوصف	Description

## ثانياً: مصطلحات الزمان

المفارقات الزمنية	Anachronic
المدى	Reach
الاستباق	Prolepses
الاسترجاع	Analepsies
اللا زمنية	Achrony
الحوار	Dialogue

## أولاً: مصطلحات المكان:

## 1 - المكان: space

يربط "جيرالد بيرنس" المكان بعامل الزمن، ويكشف عن مفهوم المصطلح قائلاً: "المكان أو الأمكنة التي تقدم فيها الوقائع، والمواقف (مكان المواقف، وزمانها، مكان القصة)، والذي تحدث فيه اللحظة السردية"<sup>25</sup>، عناصرها المختلفة، حيث يحتضنها، ويجعلها بناء متكامل له معنى.

وقد يحدث السرد دون الإشارة إلى المكان، بيد أن الفرق واضح بين أحداث تجري وقائعها في مكان معلوم، وأخرى تجري وقائعها في مكان مبهم، ومن ثم، فإن السرد الذي يكون من طرف سارد يقوم بسرد الأحداث من سرير في أحد المستشفيات، يختلف عن السرد الذي يكون من طرف سارد يقوم بسرد الأحداث من حفلة أو سهرة من السهرات، ولكل مكان أحداث تناسبه.

ويؤكد "غاستون باشلار" Gaston Bachelard على دور المكان في تكوين الشخصية، وتمييزها ويرى: "أن البيت هو واحد من أهم العوامل التي ندمج أفكار، وذكريات، وأحلام الإنسانية، (...) ولهذا فبدون البيت يصبح الإنسان كائناً مفتتاً"<sup>26</sup>، لا يقوى على الصمود في وجه العوارض، والنوازل المختلفة. و"حين يفقد العمل الأدبي المكانية، فهو يفقد خصوصيته وبالتالي أصالته"<sup>27</sup> التي تحفظ بقاءه، ومن ثم؛ "فإن الوجه الأبرز للخطاب المعرفي يتأسس على الصورة؛ هذه الصورة لا توجد إلا في المكان،

وقد اعتبر أن ما لا صورة له لا يعتبر موجودا (....) فالحقيقة تحضر بحضور الصورة وتغيب بغيابها<sup>28</sup> ما دامت تعبر عن المكان وما يحتويه، بصدق وإخلاص.

ويرى "جيرار جينت" *Gérald Genette*، أنه لا يوجد شيء "يتميز بالاستقلالية عن البنية السردية، كما أن كلّ المواد والأجزاء، والمظاهر الداخلة في تركيب السرد تصبح تعبيرا عن كيفية تنظيم الفضاء الروائي"<sup>29</sup>، ولا إحساس بالأمان إلا في وجود المكان. ويتراءى للدارس أن الإجماع بشأن مفهوم المكان؛ كان خيطا مشتركا بين النقاد حول ماهية هذا الكائن الموضوعي ودوره في لمّ شتات الموجودات.

## 2 - الشكل المكاني: *Spatial forme*

يعرفه "جيرالد بيرنس" بأنه "نوع من التنظيم، ينتج في السرد حينما يجري التخلي عن الطرق المنطقية، والزمنية العادية، ويتم تفضيل الطرق التقليدية، (....) ومع الشكل المكاني فإن الحركة الزمنية للوقائع تتوقف"<sup>30</sup>، وهو بذلك تنظيماً للسرد، يتم التركيز فيه على وصف الأمكنة، في عملية هامة هدفها البحث عن كوامن الإبداع في العمل الأدبي.

ويؤكد الناقد "حميد لمهداني" أن "المكان يساهم في خلق المعنى داخل الرواية، ولا يكون دائما تابعا أو سلبيا، بل إنه أحيانا يمكن للروائي أن يحوّل عنصر المكان إلى أداة للتعبير عن موقف الأبطال في العالم، وهذا ما فعله مارسيل بروست حينما عمد إلى تدمير المكان الواحد وجعل الأمكنة دائما متداخلة بحيث ينسج أحدها الآخر في اللحظة الواحدة"<sup>31</sup>، بحثا عن كوامن التجدد والاستمرارية، ودفعاً للرتابة، والجمود.

وهناك من الدارسين من "ميز بين فئتين من الفنون القائمة على التواجد (أي الوجود المشترك) في المكان، والفنون القائمة على التعاقب في الزمان، وتمثل الأولى في الأجسام المرئية في لحظات واحدة من وجودها، وتمثل الثانية في الأفعال الناشئة في نتابعات"<sup>32</sup> لا تُعرف بدايتها، ونهايتها. غير أن ما يصعب إنكاره" هو عامل التواصل في الفن"<sup>33</sup>، أو المزاوجة بين ما هو واقعي موضوعي، وما هو وهمي.

وتجسيدا لخاصية الثبات في المكان، يؤكد البعض أن "المكان هنا هو كل شيء، حيث يعجز الزمن عن تسريع الذاكرة (....)، إننا عاجزون عن معايشة الاستمرارية التي تحطمت نستطيع أن نفكر فيها فقط بمستوى تجريدي خالٍ من الكثافة (....)، الذكريات ساكنة، وكلّما كان ارتباطها بالمكان أكثر تأكيدا كانت أوضح"<sup>34</sup>، إنه رمز الوجود الفعلي لكل الموجودات.

## 3 - الوصف: Description

يتمثل مفهوم مصطلح الوصف عند "جيرالد بيرنس" في "عرض وتقديم الأشياء، والكائنات، والوقائع، والحوادث، المجردة من الغاية، والقصد، في وجودها المكاني عوضا عن الزمني، وأرضيتها بدلا من وظيفتها الزمنية، وراهنيتها بدلا من متابعتها، وهو تقليديا يختلف عن السرد والتعليق<sup>35</sup>" من حيث الماهية، والهدف.

ولم يبد "جيرار جينت" أي اهتمام بهذا المصطلح وعرف كبديل عنه مصطلح الوقفة الوصفية أما "غاستون باشلار" فقد ساقه حال إباتته لجمالية المكان، وقيمته، مبرزا أنه يشكل مجموعة من الصور التي تعطي للإنسانية براهين، وأسباب التوازن<sup>36</sup>.

ويذهب "محمد القاضي" صاحب معجم السرديات في توضيحه لمدلول المصطلح إلى أن "الوصف نشاط فني، يمثل باللغة الأشياء، والأشخاص، والأمكنة، وغيرها، وهو أسلوب من أساليب القص، يتخذ أشكالا لغوية (....)، تشمل خصائص الموصوف، أو عناصره<sup>37</sup>" قصد إظهارها، والكشف عن مكوناتها.

أما "لطيف زيتوني" فقد عرف مفهوم المصطلح، بأنه "تمثيل الأشياء، أو الحالات، أو المواقف، أو الأحداث في وجودها، ووظيفتها مكانيا لا زمانيا، فقد يحدد الراوي الموصوف في بداية الوصف، ليسهل على القارئ الفهم والمتابعة، أو يؤخر تحديده لخلق الانتظار، والتشويق<sup>38</sup>"، وارتفاع وتيرة الرغبة في الحصول على النتيجة.

في حين يرى "إبراهيم فتحي" بأنه "شكل من أشكال القول ينبئ عن كيف يبدو شيء ما، وكيف يكون مذاقه، ورائحته، وصوته، ومسلكه، وشعوره<sup>39</sup>"، ولا يتم التوصل إلى ذلك إلا بعد طول نظر، وعمق تأمل.

وتلتقي هذه التعريفات التي حاولت استجلاء خصائص مفهوم المكان في نقاط عديدة، فتميزه بالوضوح، وترفع عنه الإبهام، والغموض.

فإذا كان "جيرالد بيرنس" يرى بأن الوصف هو العرض، والتقديم، والنظر إلى الموصوف نظرة تحر، وتحيص؛ فإنه ينفرد بالإشارة إلى عامل الزمن وأهميته، ويؤكد توقف سيرورته في أثناء الوصف، توقفاً نهائياً، بينما يؤكد معجم السرديات على الجانب اللغوي متمثلاً في مستويين هما المفردات، والتراكيب، إذ غالباً ما تكون الموصوفات أسماء ثابتة لتحقيق الهدف من الاصطلاح. وأبان معجم مصطلحات نقد الرواية أن تحديد الشيء الموصوف في بداية الوصف، من شأنه إنارة الطريق أمام القارئ، وحمله على المتابعة، مستغلاً قدراته المعرفية، لفهم العمل الأدبي، وإدراك مرامييه.



والظاهر أن كلّ التعريفات تؤكد على قيمة الوصف الرائدة، ومن ثم؛ "فلا يمكننا أن ننسى المشكلة التي ألصقت بالوصف باعتباره شكلا من أشكال فرملة السيرورة الحكائية"<sup>40</sup>، والحد من تسارع وتيرة الأحداث؛ لذلك يمكن القول: إن "الوصف ليس أبدا هو وصف الواقعي، بل هو ممارسة نصية"<sup>41</sup> تخدم الفضاء الروائي؛ ولذلك يجب أن يتنبه الجميع إلى "أهمية أن نقرأ الفضاء، بما هو وجود، وذاكرة، وعلائق وأمكنة"<sup>42</sup>؛ إذ في تضافرها تتحقق جمالية العمل الأدبي.

ثانيا: مصطلحات الزمان

أ - علاقات الترتيب الزمنية

### 1 - المفارقة الزمنية: Anachronic

يعرف "جيرارد بيرنس" مفهوم المصطلح بأنه "عدم توافق في الترتيب بين التعاقب الذي تورد فيه الأحداث في الخطاب، والتتابع الذي تحدث فيه في الحكاية، فبداية تقع في الوسط يتبعها عودة إلى وقائع حدثت في وقت سابق، تشكل نموذجا مثاليا للمفارقة"<sup>43</sup>، ومحاولة التوصل من قيود الزمن . وفي المقابل يرى "جيرارد جينت"، أنها "تعني دراسة الترتيب الزمني لحكاية ما، مقارنة نظام ترتيب الأحداث أو المقاطع الزمنية في الخطاب السردى بنظام تتابع الأحداث، أو المقاطع الزمنية نفسها في القصة، وذلك لأن نظام القصة هذا تشير إليه الحكاية صراحة، أو يمكن الاستدلال عليه من هذه القرينة غير المباشرة أو تلك"<sup>44</sup>، حيث تختلف طريقة سرد الأحداث باختلاف المبدع، والمتلقي، وكذا نوع الجنس الأدبي موضوع الدراسة.

وفي نظر صاحب معجم السرديات فإن المفارقة "هي التنافر بين ترتيب الأحداث في الخطاب، وترتيبها في الحكاية، ويتم التعرف على التنافر بين الترتيبين، بالاعتماد على ما يظهر من إشارات زمنية قائمة في الخطاب، صريحة كانت أو ضمنية"<sup>45</sup>، لأن تأثيرها على الأحداث بارز يدركه المتلقي دون عناء.

وقد أورد لطيف زيتوني في معجمه مصطلح "مخالفة الزمن"، بديلا عن هذا المصطلح، وفي نظره "هي غياب المطابقة بين ترتيب الأحداث في السرد، وترتيبها في الحكاية، والمخالفة تفترض ضمناً على الأقل، وجود حالة من المطابقة التامة بين هذين الترتيبين؛ وهي الحال التي تكون عليها الحكاية، قبل أن تمتد إليها يد الكاتب. والمخالفة نوعان الاستباق، والاسترجاع"<sup>46</sup>، يتم خلالها العدول عن تاريخية الأحداث، وخضوعها لسيرورة طويلة من الماضي إلى الحاضر أو عكس ذلك.

ويتضح من هذه التعريفات التي حاولت توضيح مفهوم المصطلح عدّة نقاط، إذ أكد "جيرالد برنس" على عدم وجود ترتيب زمني منتظم للأحداث، حيث يمكن أن تجري جملة من الأحداث في

الحكاية في وقت واحد، ولكن الخطاب يكون لزاما عليه تقديم هذه الأحداث الواحدة تلو الأخر. ويؤكد "جيرار جينت" هذا الطرح، في حين ينقل معجم السرديات تعريفه للمصطلح عن "تودوروف" *todorov* دون اختلاف يذكر، ويكتفي معجم مصطلحات نقد الرواية بالتمييز بين نوعين من المفارقة الزمنية.

ويظهر أن سمة الوضوح هي التي تميز المفهوم ، دون وجود أدنى اختلاف بين الدارسين، إذ المفارقة ضرب من ضروب التلاعب بالزمن ، سعيًا للحد من غطرسته، وسلطانه.

## 2 - المدى: Reach

يعرفه "جيرالد بيرنس" بأنه "المسافة الزمنية بين زمن القصة الذي تستغرقه المفارقة واللحظة الراهنة (أو اللحظة التي يتوقف فيها القص الزمني لمساق الوقائع، ليفسح النطاق للمفارقة<sup>47</sup>)، أو هو لحظة من الزمن، يتوقف فيها السرد في نقطة معينة ليرتد إلي الوراء أو يقفز إلى المستقبل، وبين نقطتي التوقف والانطلاق توجد هذه المسافة الزمنية.

ويذهب صاحب معجم مصطلحات نقد الرواية إلي القول: "توقف الزمن عن متابعة السرد بالتدرج الطبيعي ليرتد إلي الماضي (استرجاع) أو ليقفز إلى المستقبل (استباق) إلى نقطة تبعد مسافة ما عن نقطة التوقف، تطلق كلمة مدى على هذه المسافة الزمنية الفاصلة بين النقطة التي توقف فيها السرد وتلك التي ، انتقل بها<sup>48</sup>"، وهو بهذا المفهوم توقف يسترجع السرد أنفاسه من خلاله، ثم يختار وجهته بين الماضي والحاضر.

والظاهر عدم وجود أي اختلاف حول مفهوم المصطلح؛ إذ إن المدى اصطلاح يتعلق بالاستباق كما يتعلق بالاسترجاع.

## 3 - الاستباق: Prolepsis

يعرفه "جيرالد بيرنس" بأنه "مفارقة تتجه نحو المستقبل بالنسبة إلى اللحظة الراهنة (تفارق الحاضر إلى المستقبل) ، إلماح إلى واقعة أو أكثر ستحدث بعد اللحظة الراهنة<sup>49</sup>"، أو اللحظة الحالية. وقد أورد "جيرار جينت" هذا المصطلح في ثنايا تحليله لرواية "بحثا عن الزمن المفقود" لمارسيل بروست *Marcel Proust* ، قائلا: "إن رواية بحثا عن الزمن الضائع تستعمل الزمن استعمالا ربما لا مثيل له في تاريخ الحكاية (..) وإنما بالتالي ميدان مفضل لدراسة هذا النمط من المفارقات الزمنية السردية<sup>50</sup>" التي لامناص منها في غالب الأحيان. "وهذه العملية تسمى في النقد التقليدي سبق الأحداث<sup>51</sup>" ، وذلك بأن يقع حدث في الحكي يقوم السارد بإيراده قبل حدوثه، وهو وعد قد يتحقق

أو لا يتحقق، فإذا تحقق كان استباقا مؤكدا، وإذا لم يتحقق كان استباقا مزيفا. وهدفه كشف الأسرار، والتشويق.

وكثيرا ما ضرب "جينت" أمثلة كثيرة كان الاستشراق فيها باديا للمتلقي كالإلياذة، والأوديسة، والإنياذة، وغيرها من القصص، والروايات المختلفة. ولذلك كان مفهوم المصطلح واضحا لا يعتره الإبهام.

#### 4 - الاسترجاع: Analepsis

عرف "جيرالد بيرنس" مفهوم المصطلح على أنه "مفارقة زمنية تبعدنا إلى الماضي بالنسبة للحظة الراهنة، استعادة لواقعة أو وقائع حدثت قبل اللحظة الراهنة، أو اللحظة التي توقف فيها القص الزمني لمساق من الأحداث، ليدع النطاق لعملية الاسترجاع<sup>52</sup> التي تقتضيها طبيعة الحكيم. ويضيف "جيرار جينت" قائلا "يشكل كل استرجاع بالقياس إلى الحكاية التي يندرج فيها - التي يضاف إليها - حكاية ثانية زمنيا، تابعة للأولى، في ذلك النوع من التركيب السردي الذي صادفناه منذ التحليل<sup>53</sup> الذي استهدف هذه الرواية.

وتسمى عملية استرجاع الوقائع الماضية باللواحق عند البعض، ويرون أن "اللاحقة عملية سردية تتمثل بالعكس في إيراد حدث سابق للنقطة الزمنية التي بلغها السرد، وتسمى كذلك هذه العملية "الاستدكار"<sup>54</sup>، وهي من مزايا العمل على إعطاء معلومات عن ماضي عنصر من عناصر الحكاية، أو أنها استدراك متأخر لسد ثغرة حصلت في النص القصصي كما أكد على ذلك "برنس"، كما أنها ترد للتذكير بأحداث سابقة يقتضيها سياق الحكيم. وقد ميز بين نوعين من الاسترجاع: (الاسترجاع المكمل) لسد الثغرات، و (الاسترجاع المتكرر)، يكون للتوضيح والتفسير. والظاهر أن مفهوم المصطلح واحد لا اختلاف بشأنه، بين دائرة النقاد والمبدعين.

#### ب - علاقات المدة

#### 1 - اللازمية: Achrony

من وجهة نظر "جيرالد بيرنس"، فإن مفهوم المصطلح يتجلى في كونه "واقعة زمنية تفتقر إلى أي ارتباط زمني، (....) واقعة بدون تاريخ"<sup>55</sup>، يتابع أو يرصد أحداثها. من جهته، يعرفه معجم السرديات بأنه "انتفاء للزمن الواضحة حدوده من ناحية بداياته، ونهاياته، ومدة استغراقه في القصة بصفة عامة، وفي الرواية الحديثة بصفة خاصة"<sup>56</sup>، حيث إنها أصبحت تخضع لخصوصيات كل عصر.

ويذهب البعض إلى القول: "إن الانشغال بالزمن أو المدة (أي الناحية السيكولوجية للزمن)، مرتبطة بنظرية اللازم، فالأحداث التي ترتبط وقائعها بعضها ببعض في الرواية، لا تفتل من عامل اللازم<sup>57</sup>"، ومثال ذلك أن الماضي، تسترجعه الذاكرة خاليا من قيود الزمن.

والصحيح أن الزمن لا يموت، وإنما يعلّق في الرواية، من خلال التقنيات المتمثلة في المفارقات الزمنية المعقدة، فيتحرر كل ما هو موجود داخل الفضاء الروائي، أما خارجه فهو "حيز كل فعل، وجزء لا يتجزأ من مختلف مظاهر السلوك الإنساني، فالأشياء كلها تبدأ مع الزمن، فهو العنصر الوحيد الذي تتغير فيه وخلالها الأشياء، وهو عصي على التبدل، والتغير<sup>58</sup>"، إلى الأبد. إلا أن التساؤل الذي يطرح: "كيف يتملص السارد من قيود الزمن ويجعل الأحداث تسير في عالم اللازمنية؟"، وهكذا الحال عند "بروست مارسيل يرى معارفه بعينه كأشكال مكانية، ويذهب كتشكيلات زمنية<sup>59</sup>" تخدم أغراضه، ونواياه من وراء العمل الإبداعي.

ويبدو أن مفهوم المصطلح يتّسم بالوضوح دون أدنى اختلاف حوله من طرف الدارسين، وتعدّ رواية الزمن الضائع "لمارسيل بروست" من الأمثلة الحية لفهم مضمونه، واستثماره في خدمة العمل الإبداعي.

#### 4 - الحوار : Dialogue

يعرفه "جيرالد بيرنس" بأنه "عرض دراماتيكي في طبيعته لتبادل شفهي بين شخصين، أو أكثر، وفي الحوار فإن كلام الشخصيات يقوم كما هو مفترض أن يكون، بدون لاحقات استفهامية<sup>60</sup>" من شأنها تعطيل المسار العادي للأحداث.

وعرفه معجم السرديات بأنه "أسلوب من أساليب القص، مثل الوصف، والسرد، يحصر المعنى (...)، ويعد الحوار موطناً من أهم مواطن تعدد الأصوات في النص السردى، وينهض على وظائف متعددة<sup>61</sup>"، يقتضيه العمل الإبداعي لبلوغ غايته المنشودة.

ويعد الحوار "من العناصر المهمة في الطريقة الدرامية، وربما كان من أحدث الوسائل لإحداث الوهم بالواقع، والحضور لدي القارئ، غير أن للحوار قيوده فالرواية لا يمكن أن تكتب كلها، أو الجزء الأكثر منها بالحوار دون أن تفقد الكثير من مرونتها<sup>62</sup>"، وتماسكها، في التعامل مع الأحداث وفق طبيعتها، لبلوغ الغاية المأمولة من وراء العمل الأدبي، إلا أنّ ذلك لا يمنعنا من القول: "إن الإنسان تحركه توقعاته للمستقبل أكثر مما تحركه خبرات ماضية<sup>63</sup>"، قد يحنّ، أو يتحسّر عليها دون جدوى. ومن هذا المنظور، فإن الوضوح كان سمة بارزة وسّمت مفهوم المصطلح، وقربته من الدارس أو المتلقي.

خاتمة:

تبيّن من خلال هذه الدراسة أن بعض مصطلحات الفضاء السردى ما تزال عرضة للتعدد والاختلاف على الرغم من أحادية المفهوم، ويلازم الأمر مصطلحات المكان لدى المبدعين الغربيين، وينسج على منوالهم نظراً وهم العرب، في حين تبقى مصطلحات الزمان خارج إطار هذا التعدد.

ولا يمكن أن ننكر وجود تقاطعات كثيرة بين المفاهيم التي أوردها هؤلاء؛ لأن المدرسة الأمريكية تعتمد على منجزات المدرسة الفرنسية، وروادها، وجلّ مصطلحات الفضاء السردى لاسيما، الزماني منها، أخذت من كتاب خطاب الحكاية لجيرار جينت، وقد وردت بكثرة في معجم جيرالد بيرنس، والمعجم العربية المختصة في مجال السرد.

الهوامش:

<sup>1</sup> أبو منصور محمد بن أحمد الأزهرى: تهذيب اللغة، ج4، تح: عبد الكريم العزاوي، الدار المصرية للتأليف والترجمة، دط، دت، ص 243.

<sup>2</sup> أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكرياء: معجم مقاييس اللغة، ج3، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر للنشر والتوزيع، دط، 1399هـ- 1998م، ص303.

<sup>3</sup> ابن منظور: لسان العرب، ج28، تح: عبد الله علي الكبير وآخرون، دار المعارف، القاهرة، مصر، الطبعة الأولى، دت، ص 2497.

<sup>4</sup> محمد مرتضى الحسيني الزبيدي: تاج العروس من جواهر القاموس، ج6، تح: حسين نصار، الكويت، دط، 1369هـ- 1969م، ص551.

<sup>5</sup> مجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، الطبعة الرابعة، 1425هـ- 2004م، ص520.

<sup>6</sup> الجرجاني علي بن محمد بن علي: التعريفات، تح: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، دط، 1423هـ- 2002م، ص181.

<sup>7</sup> أبو العباس أحمد القلقشندي: صبح الأعشى، ج1، دار الكتب المصرية، القاهرة، مصر، دط، 1340هـ- 1922م، ص07.

<sup>8</sup> محمد علي التهانوي: كشف اصطلاحات العلوم والفنون، ج1، تح: علي دحروج، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1996م، ص01.

<sup>9</sup> الخليل بن أحمد الفراهيدي: كتاب العين، تح: عبد الحميد هنداوي، ج3، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، الطبعة الأولى، 1424هـ - 2002هـ، ص327.

<sup>10</sup> Larousse, édit1, édition spéciale Alger, 2001, p155.

- <sup>11</sup> ينظر: ميشال بوتور: بحوث في الرواية الجديدة، تر: فريد أنطونيوس، منشورات عويدات، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، 1982م، ص 108-131.
- <sup>12</sup> ابن منظور: لسان العرب، ج 47، ص 4250.
- <sup>13</sup> الجرجاني علي بن محمد بن علي: التعريفات، ص 181.
- <sup>14</sup> نفسه: ص ن.
- <sup>15</sup> سورة يس: الآية 67.
- <sup>16</sup> ابن منظور: لسان العرب، ج 13، ص 1069.
- <sup>17</sup> الجرجاني علي بن محمد بن علي: التعريفات، ص 81.
- <sup>18</sup> ينظر: أندري لاند: موسوعة لاند الفلسفية، تح: خليل أحمد خليل، منشورات عويدات، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، 2001م، ص 362.
- <sup>19</sup> عبد المالك مرتاض: في نظرية الرواية، بحث في تقنيات السرد، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1998، ص 246.
- <sup>20</sup> ياسين النصير: الرواية والمكان، دار نينوى، دمشق، سوريا، الطبعة الثانية، 2010، ص 15.
- <sup>21</sup> ابن منظور: لسان العرب، ج 21، ص 1867.
- <sup>22</sup> الجرجاني علي بن محمد بن علي: التعريفات، ص 97.
- <sup>23</sup> جيرالد بنرس: المصطلح السردى (معجم مصطلحات)، تر: عابد خزندار، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، مصر، الطبعة الأولى، 2003م، ص 101.
- <sup>24</sup> نفسه: ص 101.
- <sup>25</sup> نفسه: ص 114.
- <sup>26</sup> غاستون باشلار: جماليات المكان، تر: غالب هلسا، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، دط، 1994م، ص 5، 6.
- <sup>27</sup> نفسه: ص 5، 6.
- <sup>28</sup> فايز صالح عثمانة: السرد في رواية السيرة الذاتية العربية، الوراق للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، الطبعة الأولى، 2014م، ص 64.
- <sup>29</sup> جيرار جينت وآخرون: الفضاء الروائي، تر: عبد الرحمن حزل، الدار البيضاء، المغرب، دط، 2000م، ص 06.
- <sup>30</sup> جيرالد بنرس: المصطلح السردى (معجم مصطلحات)، ص 215.
- <sup>31</sup> حميد لمحداني: بنية النص السردى من منظور النقد الأدبي، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، الطبعة الثالثة، 2000م، ص 70.
- <sup>32</sup> أ.أ. مندلاو: الزمن والرواية، تر: بكر عباس، دار صادر، بيروت، لبنان، دط، 1997م، ص 29.
- <sup>33</sup> نفسه، ص ن.

- <sup>34</sup> غاستون باشلار: جماليات المكان، ص 39.
- <sup>35</sup> جيرالد بيرنس: المصطلح السردى (معجم مصطلحات)، ص 58.
- <sup>36</sup> ينظر: غاستون باشلار: جماليات المكان، ص 35-36، 45.
- <sup>37</sup> محمد القاضي وآخرون: معجم السرديات، دار محمد علي للنشر، تونس، الطبعة الأولى، د ت، ص 472.
- <sup>38</sup> لطيف زيتوني: معجم مصطلحات نقد الرواية، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، لبنان، 2002، ص 171.
- <sup>39</sup> إبراهيم فتحي: معجم المصطلحات الأدبية، المؤسسة العربية للناشرين المتحدين، صفاقس، الجمهورية التونسية، الطبعة الأولى، د ت، ص 406.
- <sup>40</sup> حسن نجحي: شعرية الفضاء المتخيل والهوية في الرواية العربية، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 2000، ص 70.
- <sup>41</sup> نفسه: ص 72.
- <sup>42</sup> نفسه: ص 41.
- <sup>43</sup> جيرالد بيرنس: المصطلح السردى (معجم مصطلحات)، ص 24.
- <sup>44</sup> جيرالد جينت: خطاب الحكاية، تز: محمد معتصم، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة الأولى، د ت، ص 38.
- <sup>45</sup> محمد القاضي وآخرون: معجم السرديات، ص 399.
- <sup>46</sup> لطيف زيتوني: معجم مصطلحات نقد الرواية، ص 145.
- <sup>47</sup> جيرالد بيرنس: المصطلح السردى (معجم مصطلحات)، ص 192.
- <sup>48</sup> لطيف زيتوني: معجم مصطلحات نقد الرواية، ص 145.
- <sup>49</sup> جيرالد بيرنس: المصطلح السردى (معجم مصطلحات)، ص 186.
- <sup>50</sup> جيرار جينت: خطاب الحكاية، ص 77.
- <sup>51</sup> جميل شاكر، سمير المرزوقي: مدخل إلى نظرية القصة، الدار التونسية للنشر، دط، د ت، ص 80.
- <sup>52</sup> جيرالد بيرنس: المصطلح السردى (معجم مصطلحات)، ص 25.
- <sup>53</sup> جيرار جينت: خطاب الحكاية، ص 60.
- <sup>54</sup> جميل شاكر، سمير المرزوقي: مدخل إلى نظرية القصة، ص 82.
- <sup>55</sup> جيرالد بيرنس: المصطلح السردى (معجم مصطلحات)، ص 16.
- <sup>56</sup> محمد القاضي وآخرون: معجم السرديات، ص 361.
- <sup>57</sup> أ.أ. مندلاو: الزمن والرواية، ص 15-157.
- <sup>58</sup> علي شاكر الفتلاوي: سيكولوجية الزمن، دار صفحات للدراسات والنشر، دمشق، سوريا، دط، 2000م، ص 21.

- <sup>59</sup> أ.أ. مندلاو: الزمن والرواية، ص 166.
- <sup>60</sup> جيرالد برنس: المصطلح السردى (معجم مصطلحات)، ص 59.
- <sup>61</sup> محمد القاضي وآخرون: معجم السرديات، ص 158.
- <sup>62</sup> أ.أ. مندلاو: الزمن والرواية، ص 133.
- <sup>63</sup> علي شاكر الفتلاوي: سيكولوجية الزمن، ص 66.